(تفسيرُ الشَّيخِ البرَّاك)

القارئ: أعوذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ: {فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧) وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ (١٨) وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} [يوسف:١٥-٢٠]

الشيخ: إلى هنا، لا إله إلا الله.

يقول تعالى: {فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ} الآن سمح الوالد نزولًا عن رغبة إخوة يوسف لما أنهم وعدوا بالمحافظة، {أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [يوسف:١٢] فأرسلَه معهم، والله يعلم ما في قلبه، لعله لم يكن واثقًا كل الثقة؛ لأنه يجد في نفسه خوف على ابنه وهو غير واثق بهذه الوعود، يقول تعالى: {فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا} أجمع يعني الكل، يعن "أَجْمَعُوا" كل الأخوة، كم؟ عشرة هذا هو، لأن مجموع الأبناء اثنا عشر، يوسف هذا، وأما أخو يوسف فليس موافقًا لهم أخوه الآخر الذين نوّهوا أيضًا {قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ} أخوه الشقيق، {وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ} كما اقترح أحدهم، {لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ} [يوسف:١٠] ووافقوا على هذا الرأي لما ذهبوا به واستقر أمرهم على أن يجعلوه ويُغيبّوه في الجب، بئر يستقي منها الناس المارّة السيارة، قال الله: {وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} ألقوه في غيابة الجب، يذكر المفسرون أنهم بالقوة أنزلوه وأنه أراد يتفلّت وكذا، لكن هذا لا يحتاج إلى من المعروف أنه لن ينزل بطواعية واختيار، لا، بإكراه، {وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا} أوحى هذا وحي الإلهام، جعل الله في قلبه أنه سيخبرهم ويُنبّئهم في المستقبل، {بِأَمْرِهِمْ هَذَا} بما صنعوه به، وتحقق ذلك في قوله سبحانه في آخر السورة: {هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي} الآيات [يوسف:٨٩]، {وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} انتهى الأمر، الآن يوسف قد غيّبوه في الجب فما بقي إلا ماذا عسى يقولوا للأب؟ سبحان الله! تدبير تدبير، كله سمّاه الله مكرًا في آخر السورة سماه الله مكرًا هذا كله مكر من بداية الكلام، {لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا} إلى آخره، كلها مكر في مكر، الآن المكر أنهم جاءوا إلى أبيهم عِشاء يبكون، البكاء الكاذب، يبكون

حَزَنًا على يوسف الذي فعلوا به ما فعل، يتظاهرون بأن الأمر ليس..، {وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ} لا إله إلا الله، أنهم راحوا يستبقون يتمرّنون يعملون رياضة، رياضة السباق، وتركوا يوسف عند المتاع كأنه صغير لا يقوى على السباق فأكله الذئب، قالوا: {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} ما أنت مصدِّق، وفعلًا لو صدَّق ما تطلَّع لعودته لو أكله الذئب انتهى الأمر، لكنه لم يصدِّق، ومن عجيب مكرهم أنهم جاءوا بقميصه وعليه الدم، لكنه دم كذب ما هو دم يوسف، يُقال عند المفسرين يعني استنتج أن المسألة ما هي بحقيقة وأنه مكر؛ لأن القميص سليم ما فيه شقوق، ذئب يقتله أو يأكله من غير..، أول ما يبلغ القميص يشقه، وهم لم ينتبهوا لهذه [.... لعل الكلمة الناحية]، إنما وضعوا الدم، {وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ} قال الأب: {بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} نعم يا مُحَمَّد!

(تفسير السعدي)

القارئ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى في تفسير قول الله تعالى: {فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ} الآيات:

أي: لما ذهب إخوة يوسف بيوسف بعد ما أَذِنَ له أبوه، وعزموا على أن يجعلوه في غيابة الجب، كما قال قائلهم السابق ذكره، وكانوا قادرين على ما أجمعوا عليه، فنفذّوا فيه قدرتهم، وألقوه في الجب، ثم إن الله لطف به بأن أوحى إليه وهو في تلك الحال الحرجة {لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} أي: سيكون منك معاتبة لهم، وإخبار عن أمرهم هذا، وهم لا يشعرون بذلك الأمر، ففيه بشارة له بأنه سينجو مما وقع فيه، وأن الله سيجمعه بأهله وإخوته على وجه العزّ والتمكين له في الأرض.

{وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ} ليكون إتيانهم متأخرًا عن عادتهم، وبكاؤهم دليلًا لهم وقرينة على صدقهم.

فقالوا –متعذرين بعذر كاذب– {يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ} إما على الأقدام، أو بالرمي والنِّضال

الشيخ: يعني نستبق [....] سباق، لكن كأن الأغلب أنه على الأقدام، نعم.

القارئ: وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا} توفيرًا له وراحة.

الشيخ: ما هم مُتعبينه يروح..، خلوه يستريح عند المتاع، سبحان الله!

القارئ: {فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ} في حال غيبتنا عنه في استباقنا {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} أي: تَعَذَّرنا بهذا العذر، والظاهر أنك لا تصدقنا لِما في قلبك من الحزن على يوسف، والرِّقة الشديدة عليه.

الشيخ: لما في قلبه من الحزن، ولما في قلبه من عدم الثقة بهم وبكلامهم، غير مطمئن لما قالوا، وهم يشعرون بذلك، {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا} ما أنت مصدق، لست بمصدق لنا ولو أننا صادقون، يعني لو قُدِّر، وهم كاذبون، لكن يقول: لو كنا صادقين ما صدقتَ، نعم.

القارئ: ولكن عدم تصديقك إيانا، لا يمنعنا أن نعتذر بالعذر الحقيقي، وكل هذا، تأكيد لعذرهم. {وَ} مما أكدوا به قولهم، أنهم {جَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ} زعموا أنه دم يوسف حين أكله الذئب، فلم يصدِّقهم أبوهم بذلك، و {قَالَ} {بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا} أي: زيَّنت لكم أنفسكم أمرًا قبيحًا في التفريق بيني وبينه، لأنه رأى من القرائن والأحوال ومن رؤيا يوسف التي قصَّها عليه ما دلّه على ما قال.

{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} أي: أما أنا فوظيفتي سأحرص على القيام بها، وهي أني أصبر على هذه المحنة صبرًا جميلًا سالمًا من السَّخَط والتَّشكِّي إلى الخلق، وأستعين الله على ذلك، لا على حولي وقوتي، فوعد من نفسه هذا الأمر وشكى إلى خالقه في قوله:

الشيخ: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}، نعم وشكى

القارئ: وشكى إلى خالقه في قوله: {إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ} [يوسف:٨٦] لأن الشكوى إلى الخالق لا تنافي الصبر الجميل، لأن النبي إذا وعد وفى. انتهى

الشيخ: الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، سبحان الله العظيم، سبحان الله العظيم، الآن هذه محنة التفريق بينه وبين أبيه، وإلقائه في الجب، لا باقي آية، وبعدما نفَّذوا ما أجمعوا عليه وألقوه غيابة الجُب، جاءت جماعة سيارة، جماعة مسافرون، وكعادتهم راحوا يستقون الماء من هذا الجب من هذه البئر، فلما جاء المستقي وأدلى دلوه وجد غنيمة، وجد غنيمة، {يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ} وربما قال: "أنا فلان" ربما أنه أخبر بما حصل عليه وأنه مظلوم وأنه مُلْقَى في هذا الجب، لكن قد لا يُصدِّقونه، وعند المفسرين كما ذكر الشيخ عندهم أشياء وأخبار وروايات إسرائيلية لا يُحتاج إليها، المهم أنه {أَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً} جعلوه سلعة يتاجرون فيها ويبيعونها، {وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} [يوسف:١٩،٢٠] وهذه المحنة الأخرى وهي الرِّق صيَّروه مملوكًا ورقيقًا وباعوه، {بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} [يوسف:٢٠] إلى آخر القصة، نعم.